سينما

«بذرة التين المُقدّسة»

معالجة متنوّعة لموضوع جريء

رغم ضغوط متنوّعة يتعرّض لها منذ أعوام، ينجز الإيراني محمد رسولأف فيلماً جديداً صادماً في اشتغاله وأساليبه السينمائية ومادته الدرامية

محمد هاشم عبد السلام

يُعتبر «بذرة التين المُقدّسة»، أحدث إبداعات الإيراني محمد رسولأف، الأوضح والأكثر جرأة وحدّة، وربما الأكثر مباشرة أيضاً. هذا لا يعني أنّه أقلّ فنية وحِرفية ومُتعة من أفلامه السابقة. لكنْ، هناك مُغاير في أسلوب تنفيذ وتصوير وصوغ حبكته وأحداثه. لا شكّ أنّ هذا نتيجة تأثّره بعوامل عدّة، كمنع المخرج من العمل بشكل طبيعي، واضطراره إلى إنجاز فيلمه سرّياً. مع ذلك، ورغم الصعوبات، تجلّت مهارته في إبداعه فيلماً ينتمي إلى الدراما الإنسانية العميقة، المعتادة في السينما الإيرانية، وتوفّره على تقلّبات كثيرة، مثيرة ومحبوكة جيداً، وإدارته المحترفة للممثلين الرائعين، ما زاد من مصداقية الفيلم. ورغم بعض استطراد وإطالة ولقطات مُمعنة في التفاصيل، ليس هناك حشو وشعور بملل، رغم أنّ مدّته من أطول أفلامه.

ينتقد «بذرة التين المُقدّسة»، موارباً، السلطة الإيرانية عموماً، ويُحيل بإسقاطاته الكثيرة إلى أي سلطةٍ قامعة، ومدى الجنون الذي يُؤدّي إليه تماديها في البطش، عبر إدانته النموذج البطريركي، وسلطة الرجل . ربّ الأسرة، ابن التربية الذكورية السلطوية، انطلاقاً من تقديمه شخصية ربّ أسرة بَسَط، وأحياناً فرض سلطته، المغلّفة بالحنان والحب والرعاية والأبوّة، على أفراد أسرته. لكنّ تعقّد الأمور يكشف الوجه الحقيقي لها. فبدلاً من التماسك في وجه المِحَن، يظهر النقيض تماماً، إذْ تنحدر أمور الأسرة من سيئ إلى أسوأ، خاصة بعد ازدياد حدّة التوترات في المنزل، وتقاطعها مع الاضطرابات والاحتجاجات والمظاهرات المُتفجّرة في الشارع الإيراني قبل عامين (نهاية 2022).

صحيحٌ أنّ رسولأف لم يذكر صراحةً اسم الشابّة التي توفّيت على يدي السلطة، في نشرات الأخبار، وعبر لقطات الاحتجاجات الأرشيفية في الفيلم، والنقاشات العائلية في المنزل. لكنْ، ليس صعباً تخمين أنّها مهسا أميني. بالتالي، يظهر تدريجياً المأزق المُنحدرة إليه العلاقات بين أفراد هذه الأسرة، وصدام الجيل القديم بالجيل الجديد، ما يؤكّد أنّ الأمور ماضيةٌ إلى مواجهة حتمية بينهما، والمصير الدموي بالانتظار، يتبعه مستقبلٌ مظلم، أو لا يُبشّر بالخير، على الأقلّ.

البطاقة التوضيحية، بعد العناوين الافتتاحية، تؤكّد ما سبق، إذْ تُفسّر معنى العنوان، «بذرة التين المُقدّسة»، الفائز بالجائزة الخاصة للجنة تحكيم مسابقة الدورة الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024) لمهرجان «كانّ»، مُبيّنة أنّ التينة المُقدّسة المعنيّة شجرةٌ تنشر بذورها في أغصان الأشجار المجاورة، وتمدّ أغصانها إلى الأرض، بحيث تخنق الحياة ببطء حولها. تقتل الأشجار، التي كانت مُعيلةً لها، فتصبح مُقدّسة. العنوان كناية واضحة عن الدولة، أو أيّ أجهزة قامعة تنضوي فيها. تفسيرٌ آخر ربما يقصد أنّ الشباب، أو الأجيال الجديدة من المتظاهرين وغيرهم، أصحاب فكر جديد، ينادون بالتغيير والتجديد والحرية. هم سيغرسون جذورهم، وسيرثون هذه الأرض، وما عليها.

رغم التأويل السياسي البحت لها، لا تخلو الحبكة من تطوّرات درامية صادقة، تكتشف بعمق مستويات نفسية واجتماعية وأخلاقية، لا تقلّ أهمية عن السياسية، من دون الفصل بينها، وإبراز مدى تعقيدها وتشابكها كلّها. تشابكٌ أو تعقيدٌ كهذين ليسا غريبين عن أفلام محمد رسولأف (1972). لكنّ الجديد في «بذرة التين المُقدّسة» أنّه، رغم وحدة الموضوع والأحداث والشخصيات والزمان، لا ينطوي على وحدة عامة في أسلوب المعالجة والإخراج، إذْ تتنوّع أساليب السرد والتناول وخطّ الإخراج، مع تطوّر الأحداث وتصاعدها، وتعقّد الصراع، وانتقاله من منطقة إلى أخرى، ومن إيقاع إلى آخر.

من خلال الأحداث، تبرز مشكلة إيمان (ميساخ زارع)، أحد كبار المحقّقين في المحاكم المنعقدة ضد الثوار والنشطاء والمتظاهرين. سيترقّى ليُصبح قاضياً، بعد أكثر من 20 عاماً أمضاها في خدمة النظام والولاء له بكل إخلاص. لكنّ الأمر يتطلّب منه تصديق بعض القضايا، والحكم بالإعدام فيها، ليس فقط ضد قناعته، بل من دون الاطّلاع عليها. تدريجياً، بعد شَدّ وجذب، وصراع ضمير ودين، من ناحية، ورغبة عائلية في الترقّي الاجتماعي، وتلبية احتياجات كثيرة للأسرة المُلحّة، من ناحية أخرى، يُنفّذ الأوامر، وينصاع أيضاً إلى رغبة زوجته نجمة (سهيلة جلستاني) وابنتيه رضوان (مهسا رستمي)، الطالبة الجامعية، وسناء (ستارة مالكي)، تلميذة المدرسة. بعد ربط السياسي العام (اضطرابات ومظاهرات واعتقالات) بالعائلي (الرغبة في تحقيق حلم المنصب المستحقّ، والترقي مهنياً ومالياً واجتماعياً)، يُربط ما سبق بالذاتي، إذْ تتعقّد أمور الأسرة بعد رصد النشطاء لإيمان ومسكنه، وتصبح حياته وأسرته في مرمى الخطر. لكنّ الانقلاب المصيري يبرز بعد اختفاء مسدسه الخاص، ما يهدّد حياته المهنية بالفصل الوظيفي والسجن. المعضلة أنّ المسدس سُرِقَ من منزله، ما يضع أهل بيته في دائرة الاتهام. هنا، تبدأ بذور الاضطراب التي غرست على مهل في الإنبات، دافعة إيمان إلى حافة الجنون. فبعد استجواب رسمي لأسرته، غريب وجادّ ومثير، من قبل محقّق صديق ضالع في انتزاع الاعترافات، يضطرّ إيمان إلى ما يُطلق عليه اختطافه أسرته. صحيحٌ أنّه يُنصَح بالابتعاد عن مرمى النشطاء، ومغادرة العاصمة مع أسرته طوعاً، إلا أن ما يُقدِم عليه في الثلث الأخير من الفيلم في بيته الريفي، ومشهد النهاية والانهيار الحتمي، يصعب وصفها خلافاً لهذا.

> السلطة ذكورية لكنّها مغلّفة بحنان وحب ورعاية وأبوّة

«بذرة التين المُقدّسة»: لا حشو ولا ملل بل مصداقية معاينة (الملف الصحافي)

«أبي» الإيراني: شهادة بصرية رائعة رغم قسوتها

نديم جرجوره

تستهلّ الإيرانية بكاه أهنكراني فيلمها القصير «أبي»، المشارك في مسابقة الأفلام الوثائقية القصيرة في الدورة الـ36 (8 . 19 نوفمبر/تشرين الثاني 2023) لـ«مهرجان أمستردام الدولي للأفلام الوثائقية»، وبعد إهدائه إلى والدها، بقولها إنّ هذا الأخير «مُقاتلٌ حقيقيّ» (المفردة الإنكليزية Warrior تُترجم عربياً إلى مجاهد ومحارب)، وإنّه «لم يخَفْ من شيءٍ». في هذا تحديدان يجعلان «أبي» (2023، إنتاج إيراني تشيكي، 19 دقيقة) مُثيراً لمُشاهدةٍ، يُفترض بها أنْ تتحرّر منهما، مع حماسةٍ لمعرفة ما الذي تبغيه أهنكراني في فيلم عن والدها، وله ومعه. فيلمُ إيراني لن يتحرّر كلّياً من سياسة واجتماع وعيش، في بلدٍ محكوم بصرامة. هذا قول مُكرّر. «أبي» غير مبتعدٍ عنّ هذا كلّه، فجمشيد (الوالد) محورُ وحيد لنصّ (كتابة أهنكراني وإحسان أبْديبور) يعكس سيرة عائلة، قبل الثورة الإسلامية (7 يناير/كانون الثاني 1978 . 11 فبراير/شباط 1979) وبعدها، وصولاً إلى اللاحق على نهاية الحرب الإيرانية . العراقية (1980 . 1988)، بعد مرور فيها.

تلك الحرب تحديداً تصدم جمشيد، السينمائي المتحمّس للثورة والمنخرط فيها، والملتحق بالحرب إيماناً بدولته الجديدة ومبادئها وسلوكها. صديقه الحميم داود، الممثل في أفلامٍ له، يُعرّفه على مانيجه، التي تُصبح زوجتَه ووالدة أهنكراني. الصدمة قاسية. المسار المؤدّي إليها متناقض ومرتبك. فالبداية مفعمة بحبّ وحيوية واشتغال وآمال وكفاح، والحرب حربٌ بكلّ ما فيها من نضال وقسوة وعنف، ثمّ الخيبة صانعةُ قهر وانكسار، بل تحطّمٌ وانهيار. والابنة، صغيرةً، غير مُدركةٍ تفاصيل، والكامن فيها ذكريات وصُور بعضها غير واضح كلّياً. فهناك داود، الذي يختفي فجأة، فيُقال لها إنّه في هوليوود، قبل اكتشافها لاحقاً بوقتٍ طويل، مصيره، فيُطرح سؤالٌ: «أتكون هوليوود، في الحقيقة، سجنَ «إيفن»؟ (أحد أسوأ وأعنف سجنٍ في إيران). والتساؤل التالي، ربما يكون أقسى، إذْ تقول أهنكراني، بلسان الراوية التي هي، إنّها لاحقاً ستعرف لماذا ستبقى خائفة من هوليوود.

شهادة بصرية حميمة، وصوت الراوية يُزيد من حميميتها وجمالها، رغم كلّ قسوة وقهرٍ يُنهيان أعواماً من فرح وهناء. أرشيفٌ بصَري وسمعي يصنعُ «أبي»، والروايةُ حكايةٌ تعكس سِيَر أفرادٍ (أب وأم وابنة وصديق) وبلدٍ. فرحٌ بنجاح الثورة الإسلامية دافعٌ إلى وضع صورة الإمام الخميني في الصالة الأساسية للمنزل. الحاصل لاحقاً (إعدام معارضين لمسالك في الثورة، واكتشاف قبر جماعي لهم، والمعروف أنّ هناك نحو 200 ألف إيراني يقتلهم الجيش الإيراني، كما يُكر في نهاية الفيلم) مُدمِّر لجمشيد، وصديقه متوارٍ في سجنٍ، والقهر غالبٌ. الصورة ستُزال، وستوضعُ مكانها صورة الصديق الغائب. هذا غير عابر. صُور من حربٍ، والابنة تبحث فيها عن والدها.

«أبي» فيلمُ قاسٍ، وجمالياته البديعة غير مانعةٍ شعوراً بمعنى الخيبة والقهر.

بكاه أهنكراني: لاحقاً أعرف لماذا لا أزال أخشى هوليوود (أمين محمد جمالي/Getty)

أقوالهم

استغرق «جولة ميم المِلّة» لهند بكر (يوتيوب) 6 سنوات. فهل جعلت تلك المدة محمد حافظ رجب (الكاتب المعتزل) يعيد تصوّر علاقته الملتبسة بأبناء جيله؟ وقناعاته؟ تؤكّد بكر أنّه كان مُدركاً تماماً لما يجري، وكان «يُخربط» كلّ شيءٍ مهمّ عندما يشعر أنّه تكلّم أكثر.

أحمد شوقي علي

في السينما، لا أستوعب شيئاً إذا لم تكن له علاقة بالواقع، أكان واقعياً كإنسان، أو واقع أمي وأخواتي البنات. لديّ ست أخوات أكبر منّي. أراهنّ جبّارات وساحرات ومُلهمات. كنت سعيداً بينهنّ، فلماذا أهرب منهنّ أو أُنكرهن؟ لماذا لا أكتب عن أمي، التي كانت تقف على قدميها طوال اليوم لتجلب لنا ما نأكله؟ لماذا أترك هذا الوجود الثري الذي عشته؟

عبدالله الطايع

حقّق الموسم السينمائي لعيد الأضحى الأخير طفرة غير مسبوقة في السينما المصرية، فإيراداته كسرت أرقاماً قياسية معروفة، في منافسة صعبة جداً، في موسم معروف بالأشرس والأضخم، يتبارى فيه النجوم، إلى درجة تسميته «موسم تكسير عظام» النجوم أمام شباك التذاكر الذي لا يرحم.

نجلاء أبو النجا

أفعالهم

Diamant Brut **لآغات ريدَنْجي** (WireImage): لِيَان (19 عاماً) مُتهوّرة ومتوهّجة. تعيش مع والدتها وشقيقتها الصغيرة في «فريجوس». مهووسة بالحاجة إلى أنْ تصبح شخصاً ما له موقع في الحياة. ترى في «تلفزيون الواقع» إمكانية أنْ تكون محبوبة. يتغيّر كلّ شيء مع مكالمة صوتية لـMiracle Island.

Jour De Chasse **لأنِك بلان** (Getty): نينا شابّةٌ ذات شخصية لا يُمكن التنبؤ بها وبتصرّفاتها وأفعالها. تجد نفسها فجأة في «شاليه» بعيد لصيادين يبدو أنّهم خاطفوها. في هذا المجتمع الذكوري، تشعر أنها باتت جزءاً من مجموعة. يهتزّ هذا التوازن الهشّ عندما ينضمّ شخصٌ غريبٌ وغامض إلى هؤلاء الصيادين.

Sauvages لكلود بَرّا، مع **لايتيتا دُشْ** (Getty): في بورنيو، على حافة الغابة الاستوائية العظيمة، تلتقي كيريا طفلاً مولوداً في مزرعة زيت النخيل، حيث يعمل والدها. ثم يلجأ سيلاي إليهم هرباً من صراع عائلته البدوية مع شركات قطع الأشجار. سيحارب الثنائي كيريا وسيلاي مع القرد الصغير مشروع تدمير غابة الأجداد.

«ماء العين» التونسي في «مهرجان نامور الـ39»

بروكسل ـ **العربي الجديد**

أعلن «المهرجان الدولي للأفلام الفرنكوفونية في نامور» (بلجيكا) اختياره «ماء العين» (2024)، للتونسية مريم جعبر («العربي الجديد»، 12 و14 أغسطس/آب 2024) لعرضه في دورته الـ39 (27 سبتمبر/أيلول . 4 أكتوبر/تشرين الأول 2024).

«ماء العين» معروض للمرة الأولى دولياً في مسابقة الدورة الـ74 (15 . 25 فبراير/شباط 2024) لـ«مهرجان برلين السينمائي (برليناله)»، قبل أشهر على مشاركته في «آفاق» الدورة الـ58 (28 يونيو/حزيران . 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي». والفيلم («العربي الجديد»، 26 فبراير/شباط 2024) منبثقٌ من آخر قصير للمخرجة نفسها، «إخوة» (2018)، أو بالأحرى قراءة سينمائية لحالةٍ بشرية، لكن من وجهة نظر المرأة/الأم (ماء العين)، والقراءة السابقة من وجهة نظر الرجل/الأب (إخوة).

عائشة، أمّ تونسية تتمتّع بأحلام فانتازية. تعيش في مزرعة ريفية مع زوجها إبراهيم وثلاثة أبناء. تنقلب حياة الوالدين كلّياً بعد اختفاء الابنين الكبيرين، مهدي وأمين، ثم اكتشاف أنّهما ملتحقان بـ«داعش» والحرب في سورية. بعد عيشهما حياتيهما من أجل الأبناء فقط، تجد عائشة وإبراهيم نفسيهما بلا أساس، ويحاولان فهم واقع جديد مؤلم. بعد أشهر، يعود مهدي إلى المنزل مع زوجته الحامل، التي تدعى ريم. النقاب وصمت ريم يزعجان إبراهيم بشدّة. عائشة ترحّب بهما، وتُقسم على حمايتهما بأي ثمن. عودة مهدي تثير أحداثاً غريبة في القرية. عائشة مشغولة للغاية بحماية ابنها، إلى درجة أنّها بالكاد تلاحظ الخوف المتزايد في المجتمع. يجب عليها أنْ تواجه حدود حبّها الأمومي لوضع حدّ للظلام المتزايد.

في «ماء العين»، تركيزٌ على عذابات أهل، تورّط ابنان لهم في تلك الحرب. وعودة مهدي حاصلةٌ بعد تعذيبه أبرياء، وقطع رقابهم، مُصطحباً معه إحدى ضحاياه. تركّز جعبر على مشاعر الأم المفجوعة، وقدرتها على التعامل مع قسوة الزوج، وإعادة الجانب الإنساني المُخبّأ تحت ستار القسوة.